مكانة اللغة العربية في العملية التعليمية ودورها في التربية على المواطنة وتعزيز الهوية

روضة مبادرة، منى مرعي
جامعة المنار- تونس - جامعة صفاقس- تونس

الملخص

يعالج البحث ويتفحص مكانة العربية في الممارسة التعليمية وذلك من خلا عنصر أول: تشخيص ومعاينة أزمة اللغة العربية: العولمة اللغوية والتطوع اللغوي يقوم أساسا على معاينة الأزمة التي قد تعاني منها ويشخص الوضعية التي يعاني منها المواطن العربي في علاقته بلغته ولسان نطقه مشكلة الازدواجية بين اللّهجات: الدّارجة والعربيّة الفصحى من جهةٍ، وازدواجيّة لغويّة بين اللغة العربيّة واللغة الأجنبيّة من جهة ثانية. وخاصة تأثير العولمة على ممارسة اللغة بالمجان ودورها في الاغتراب اللغوي والثقافي وعنصر ثاني: العرب واللسان العربي في المناهج التعليمية: تحديات من أجل الهوية والمواطنة يقود إلى تعزيز مكانة العربية في المناهج التعليمية من أجل ممارسة التطوع اللغوي في الخطابات البيداغوجية و الرسمية و اليومية إلى جانب العمل على الرفع من قيمة ممارسة العربية باعتبارها رمز و مقوم أساسي من مقومات الهوية و الكينونة الثقافية للشعوب العربية و مقوم رئيسي للدين الإسلامي فالعربية لغة الضاد و الإعجاز ليست مجرد لغة أو لسان بل هي الوطن وهذا ما يدعّم الوقوف على أهميتها في تعزيز قيم الأصالة ونعمة الإنتماء و المواطنة و الضمير أو الحس الجمعي و الوعي بالوجود المشترك ووحدة المصير و بالتالي فإن هذه الورقة البحثية ركزت بالأساس على موقع العربية لدى الناطقين بها ولعلّ الغاية هنا هي جعل العربية لها مكانة عالمية و ذات سيط أمام غير الناطقين بها . و بالتالي حماية العربية من الاغتراب و الاندثار وذلك بتخطيط مستقبليّ لتوفير الأمن اللغوي وتأكيد حضور العربية على مستوى عالمي والعمل على نشرها لتكون لغة كونية .

الكلمات المفاتيح: اللغة العربية، التطوع اللغوي، العملية التعلمية، الهوية، المواطنة

المقدمة

إشكالية البحث: ما وضع العربية من حيث الممارسة في خطابات الناطقين بها؟ وإذا لاحظنا وجود أزمة في التطوع اللغوي؟ ما هي أسبابها وفيم تتمثل تداعياتها على مستوى ممارسة العربية؟ أيّ موقع تحتله اللغة العربية في المناهج التعليمية في السياسات التربوية للأوطان العربية؟ ما أهمية حضور اللسان العربي في الخطابات اليومية للشعوب التي تنطق العربية؟ كيف تساهم ممارسة العربية في تعزيز روح الإنتماء والهوية وكيف تساهم في التربية على المواطنة وتدعيم الحس الوطني؟

أهداف البحث: من خلال بحثنا في هذه القضية البحثية قد ركّزنا على مجموعة من الأهداف لعلّ أهمّها:

معاينة واقع العربية ومحاولة تشخيص الأزمة من أجل البحث عن حلول وإجرائيات للتجاوز.

الوعي بالمكانة والموقع الذي تحتله العربية في المناهج التعليمية العربية والسياسات التربوية في العالم العربي.

التنبيه إلى قيمة النطق باللسان العربي كتابة ومشافهة من أجل الحفاظ على الأصالة والموروث اللغوي الذي يجب أن تتوارثه الأجيال اللاحقة من الأجيال السابقة.

دعم المبادرات التي تشجع على ممارسة العربية أو بما يسمى التطوع اللغوي.

دعم التمكين اللغوي في السياسات التربوية والبيداغوجيا المعاصرة.

الوعي بقيمة العربية كمقوم من مقومات الهوية.

بيان دور العربية في تأصيل قيم المواطنة والوطنية ووظائفها الإجتماعية والثقافية والتعليمية.

مقاومة الإغتراب اللغوي الذي يشكل عائقا وأزمة أمام إزدهار العربية والعمل على تأصيلها.

محاربة كل العوائق التي تعيق عمليات التطوع اللغوي.

نتائج البحث:

من خلال معاينتنا لهذه المسألة نستخلص النتائج التالية:

الأزمة في العربية كائنة و لكن يجب التصدي لها من أجل الحفاظ على المكانة التي يجب أن تتميز بها اللغة العربية.

من المسلم به أن العربية لها مكانة بارزة في السياسات التعليمية بما هي اللغة الأم من جهة و بما هي تعبر عن ثقافة الشعب وهويته ومدى تمسكه بخصوصيته الثقافية و الحضارية.

مكانة العربية في المناهج التعليمية تبدأ من صناع القرار في السياسات التربوية من حيث إدراج اللغة العربية كمادة تعليمية رئيسية في كل المستويات التعليمية من الأساسي إلى الثانوي وحتى الدراسات العليا أو الجامعية .

للعربية دور في زرع القيم الفاضلة و الأصيلة و مثل الإعتزاز بروح الإنتماء و التضامن و التسامح و العمل بمبدأ العيش معا لأننا نتشارك في اللغة و الهوية .

تأصيل قيم التفاهم بين الناطقين بها لأن العربية توحدهم و تجعلهم في تواصل و إتصال .

التوصيات و المقترحات

من أجل الإعتزاز بقيمة العربية كمقوم من مقومات الهوية تأجج روح المواطنة و الإنتماء لابد من العمل بهذه التوصيات :

العمل على إبراز قيمة العربية للناطقين بها و غير الناطقين بها.

ضرورة وضع خطط تربوية علميّة للنّهوض باللّغة العربيّة خصوصا في إطار ازدواجية لغويّة يعيشها الشباب العربي اليوم والتي يمارسها الناطق بالعربية بصفة عامة.

ولابد إذن من معايير مظبوطة للنهوض باللغة العربية تقوم أساسا على وضع استراتيجية تحمي العربية من الإندثار و جعلها المادة الرئيسية و المبجلة من حيث عدد ساعات التعلم في كل الفصول الدراسية و المستويات التعليمية .

ضرورة العودة للقومية أي تعزيز الإنتماء القومي كما نظّر إلى ذلك البعض من المفكرين المعاصرين الباحثين عن الهوية الحقيقية لأنّ القومية ليست سوى ذلك الولاء الصادق و الحقيقي للقبيلة، للمجتمع للحضارة و بالتالي للغة و الهوية.

العمل وفق مبدأ **لغتي هويتي وموطني** فجدليّة العلاقة بين اللغة والهوية و المواطنة تتجلى في كون اللغة هي عنوان التواجد في العالم والهوية ليست سوى مكمن يحتوي مقومات الانتماء. ربّ انتماء يجعلنا ندافع عن هويتنا بتكريمنا لغتنا و ثقافتنا. للغة العربية دور في حفظ كينونة وكيان الأمة العربية وثقافتها و

إنقاذها من الضياع و التلاشي فلن ينتشر اللسان العربي إلا بالفعل التطوعي للغة و لن تتحقق صور الحضارة العربية الإسلامية دون اللغة العربية و قد حظيت بموقع مرموق بين لغات العالم، فهي اللغة الأُمّ للمسلمين والعرب كما أن لها دور بارز في وحدة المجتمع و تماسكه. ومثلما تقول الروائية العراقية عالية ممدوح " أشعر أنّ لغتي العربية هي حصني الأخير " ووجودي وموطني .

فقوة الهوية تنمو بقوة مقوماتها لأن الجذر الصلب لا ينتزع لان اللغة هي الوطن و المقام و هيبة المتكلم وكما يقول الفيلسوف الألماني هيدجر إن لغتي هي مسكني، هي موطني ومستقري، هي حدود عالمي الحميم ومعالمه وتضاريسه، ومن نوافذها ومن خلال عيونها أنظر إلى بقية أرجاء الكون الواسع، فاللغة التي تدل على هوية الفرد وتكشف عن ذاته ومن هو؟

ما حققته الأمم من تحضّر و تقدّم وتضخّم لمنطق النجاعة و المردودية و من ثمّ الطابع البراغماتي المادي الّذي تتّسم به العلاقات بين الدول هو الّذي شكّل أزمة هويّة في حقبة زمنية معينة بالنظر إلى أنّ الحديث أضحى في تلك الحقبة عن هويات متنافسة تتسابق نحو العالميّة بالهيمنة و التحكّم ليكون النموذج الأفضل هو الّذي يبلغ مرتبة الحضارة العالميّة وفق عبارة صامويل هنتنغتون. ويهدف هذا النموذج الحضاري المهيمن إلى فرض سياسته ،اقتصاده، مقدّسه ، لغته ... و بالتالي ثقافته و من ثمّ هويّته لينصهر الخصوصي في العالمي العولمي و تذوب الهويات في هويّة دخيلة تدّعي الكونيّة الحقيقيّة و عليه فإنّ أزمة الهويّة هذه سوف تؤثّر سلبا و تطمس أوّلا الهويّة اللّغويّة و من هنا سوف تمثّل تهديدا للأمن اللغوي في الحضارات المهيمن عليها ثقافيا و هي الحضارات الغير غربيّة خاصّة منها الحضارة العربيّة. لكن كينونة الشعوب و أنطولوجيتهم تكمن في مدى محافظتهم على هويتهم و موروثهم اللغوي و بالتالي الثقافي فثقافة الشعب هي دم وجوده وفق عبارة فون هاردر 1 .

تشخيص ومعاينة أزمة اللغة العربية : العولمة اللغوية و التطوع اللغوي

تواجه اللغة العربية صعوبات متعددة كالإستعمار اللغوي إلاّ أنّ الكارثة الحقيقية لا تكمن في اللغة ذاتها بل في الإنسان العربي الذي يعيش في ضرب من الانصهار و الشعور بالنقص و يتصعد هذا النقص في التنصل من أصالته وهويته. إلى جانب نقص الثقافة اللغوية لدى الإنسان العربي فأجيال العصر هي أجيال لا تقرأ بل تشاهد، وهو سبب كافي لسيطرة العامية. فبعض البشر يزعمون أنهم مواطنون عرب في حين

[1] فيلسوف و شاعر و عالم لاهوت ألماني .

أنهم ينطقون لغة عامية،دارجة مشوهة، متداخلة بعبارات لغوية أجنبية، وبالتالي يصبح التفكير أجنبي وتضعف اللغة المحلية و القومية ، و هذا ينمي سيطرة الاستعمار اللغوي و يشرّع لممارسات العولمة ضدّ اللغة .

العولمة تطمس التطوع اللغوي

عندما نحدد مفهوم التطوع اللغوي فإنه قد يعني عموما الجهد المبذول لممارسة اللغة بالمجاء و إعياء اللسان الذي يميّز أمة عن غيرها من بين الأمم لكنّ ما يعيق التطوع اللغوي هي ممارسة اللغات الأجنبية في التواصل بين المتكلمين العرب، وكأن اللغة العربية فقدت صلاحيتها و لم تعد لغة تبلغ الفكر واو المعلومة أو للتفاهم بين الناس في المجتمعات العربية، فبالرغم من اعتراف اليونسكو و هيئة الأمم المتحدة أن اللغة العربية إحدى اللغات الرسمية فإنّ بعض المتزعمين و كوادر الدول العربية يسجلون معطياتهم باللسان الإنجليزي، أو باللسان الفرنسي على غرار الندوات والمؤتمرات التي تقام في الدول العربية فالعربي أصبح يشارك الأجنبي في لسانه ونطقه و حتى ثقافته و عليه فمأزق العربية و أمتها ها هي سببها أبناؤها أنفسهم بالنظر إلى غياب التطوع اللغوي وخدمة الأبناء للغة الأم . وهذا ما يسمى الاستعمار الثقافي و اللغوي الذي تغذيه عولمة شاملة، فالعولمة من أعنف العوائق التي تواجهها اللغة العربية،ومن مبادئها الأشرس نشر اللغة الواحدة، وجعلها لغة العالم الأولى و الأخيرة، وإيهام الشعوب إن بلوغ التقدم لا يكون إلا باللغة الإنجليزية دون سواها . و هذا الجهل بقيمة هويتنا اللغوية هو وفق تفكير ابن خلدون "اقتداء المغلوب بالغالب "2.

وبالتالي فإنّ هذه الإدعاءات و الهيمنة الشاملة التي تسعى القوى العولمية الكبرى إلى نشرها تجعل العربية اليوم تهاجم من قبل مناصري العولمة، بادعائهم أنها لم تعد صالحة لأن تكون وعاء للتقدم العلمي والتقني، وهم بذلك يستهينون بثقافة وهي دعوة الهدف منها طمس الهوية العربية. وهذا هو السبب الرئيسي الذي يؤدي إلى الانسلاخ العشوائي عن الهوية العربية .

فالتبعية الفكرية والثقافية، والانبهار بالآخر، وبثقافته يضعف اللغة، فهو يتناول لغة الآخر ولا يعي بموت لغته فاللغة ترتبط بالهيمنة و في الراهن سيطرت اللغة الإنكليزية على الثقافي، الاجتماعي و السياسي و الاقتصادي.... وأضحت اللغة العالمية بين الدول وحتى في الحياة اليومية التي يمارسها العربي وأنه استغنى

[2] ابن خلدون ،المقدمة، الدار التونسية للنشر ، تونس ،1984 .

عن اللغة العربية وأصبحت هي البديل ومن هنا كانت لغة مهيمنة تقوم بممارسة ضغوط.وهذا ما يسمى ب **الامبريالية اللغوية،** بعبارة روبرت فيليبسون أو **امبريالية اللغة،** وهو أيضا عنوان لكتابه Linguistic Imperialism هو مفهوم لغوي "يتضمن نقلَ لغةٍ مهيمنةٍ إلى قومٍ آخرين". ومن هنا يكون الاستعمار اللغوي مرتبط بضرب من الايدولوجيا حين يكون تعليم الإنجليزية هو في الحقيقة فعل إجباري إكراهي فهو فعل استعماري أداته لغوية محضة .

الذوبان والانصهار في الآخر الثقافي و التنصّل من الثقافة المحليّة هو تنصل من مقوّمات الهويّة وخاصة مقوم اللغة وهذا التداخل يجد تبريره في الخضوع اللاواعي و المحتكم إلى المصلحة المادية في مجاراة لغة الآخر و ممارستها دون الالتفات إلى ما هو خصوصي الّذي ينسجم مع القوانين والواقع المحليين، وفي ظل غياب الاعتراف و الافتخار باللغة الأمّ، وسياسة لغوية راشدة،تبطل تهمة الاستعمار اللغوي الأجنبي لحساب المصالح المادية وعلى حساب الهوية الوطنية و الثقافة الخصوصيّة . من هنا كان من الضروري تشخيص هذه الوضعية التي آلت إليها الهوية و اللغة العربية على حد السواء .

العرب واللسان العربي في المناهج التعليمية: تحديات من أجل الهوية والمواطنة

بالرغم من شدة أزمة اللغة العربية فإنّ التحديات الآنية والمستقبلية، تراهن على خدمة العربية بالمجان فعربيتنا هي الوعاء الذي يحتوينا وحمايتها من خطر العولمة الذي يهددها أضحى مقتضى انتمائي وواجب وطني وديني فهي العمود الفقري الذي تقف به ويجب على الأوطان العربية حماية لغتها.

عندما يكون شعب ما أصيل و متشبث بهويته فإن المساعي المتجهة نحو خدمة اللغة و التطوع اللغوي ومن ثم تحقيق الأمن اللغوي هي مساعي جدية تجعل من اللغة الأم " اللغة العربية " لها مكانة وقيمة في السياسات التعليمية و المناهج التربوية وذلك بالتطوع اللغوي والسمو بلغتنا و تكريمها .

" تكلم يا هذا حتى أراك " هكذا دعا سقراط –الفيلسوف و الحكيم اليوناني– مخاطبه ليبين أهمية اللغة بما هي وسيلة من لا وسائل لهم وهي أداة تواصل و نقاش و اعتراف فمن له لغة قد منح الاعتراف و التقدير و السمو ذلك أنّ " أنّ الشعوب يمكن أن تكبّل بالسلاسل وتسدّ أفواهها و تشرّد من بيوتها وتظلّ مع ذلك عتيّة ، فالشعب يفتقر و يستبعد عندما يسلب اللسان الّذي تركه له الأجداد و عندئذ يضيع إلى الأبد " 3.

[3] محمود أحمد السيّد ،اللغة العربية و تحديات العصر ،الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق سوريا ،2008 ، ص 37.

كيف يمكن لممارسة اللغة العربية و التكلم بها أن يكون سبيلا عمليا نحو تحقيق لشرط الانتماء والهويّة و تكريس لقيم المواطنة ؟ أو بالأحرى ما هي سبل نهضتنا بلغتنا من أجل ضمان كينونتنا الثقافية و الاجتماعية و السياسية و بالتالي الحضاريّة و لنحضر في العالم كشعوب تعتز بلغتها و تعبر بها عن فاعليتها الحضارية؟

اللغة العربية واقع ومكانة

أن نتكلم، أن ننطق، أن نعبّر، أن نمارس العربية هذا هو الفعل التطوعي الأوّل. إذ " لا يمكن لأيّ لغة أن تبقى و تزدهر إلاّ باستخدام أهلها لها و اعتزازهم بها و إبداعهم داخل معجمها في أدبياتها و فنونها. " [4]وبالرغم من الوضعية الهامشية للغة العربية بين اللغات الأخرى، وما تعانيه من اضمحلال للهوية العربية الإسلامية إلا أن هناك محاولات جدية في الوطن العربي، قامت بالنهوض باللغة العربية، بحيث اعتمدت كلغة رسمية في المدارس إلى جانب بعض القرارات التي تخدم اللغة العربية خاصة إقرار الذي صدر عن مؤتمر العالم الإسلامي سنة 1949 و الذي يقضي بوجوب اعتبار لغة القرآن لغة عامة للمسلمين في جميع أنحاء العالم، والعمل على نشرها، وكتابة لغات العالم الإسلامي بخط النسخ العربي. ووفق الفيلسوف الألماني هردر فإنّ" لغة الآباء والأجداد مخزن لكلّ ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين وقلب الشعب ينبض في لغته وروحه تكمن في لغة الآباء والأجداد"[5].

فاللغة وسيلة لإنقاذ الهوية من الضياع مثل تجربة اللغة العبرية التي طالما عانت من التهميش و الموت إلى أن قام الناطقين بها في إحيائها و إنقاذها من الموت وهنا مثّل هذا التحدي الناجح حفاظا و تماسكا في الهوية لتعود اللغة إلى الحياة بعد أن كانت عدما .و هذا يعبر عن الكم الهائل من المتطوعين والمدافعين عن اللغة العربية، خدمة للغة بالمجان دون انتظار أي غاية كانت خصوصا بالترجمات وعمليات النقل إلى العربية أو نقل العربية حيث وقع تدريس العلوم باللغة العربية، في بعض الجامعات الأجنبية و هو دليل على قدرة اللغة العربية على استيعاب ونقل العلوم القديمة خاصة في عصر الفلسفات الإسلامية في العصور

[4] عبد الله البريدي (مجموعة من المؤلفين) ، التطوع اللغوي إطار نظري و تطبيقي للتطوع في مجال خدمة اللغة العربية ، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية ، الطبعة الأولى، 2015 ،السعودية الرياض ، ص17 .

[5] محمود أحمد السيّد ،اللغة العربية و تحديات العصر ،الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق سوريا ،2008 ، ص 47.

الوسطى والفلسفات الغربية الحديثة، وهذا يعد خطوة نحو تأهيل اللغة العربية لتكون رائدة في جميع الميادين .

فكل لغة هي أداة كل أمة للتواصل بين أفراد أبنائها في مختلف شعوبها و لان "اللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون"، وبدونها تفقد أصالتها وتشهد على اضمحلالها، ولقد عانت اللغة العربية أزمات حادة عبر التاريخ لعلّ أخطر ما يهدد هوية الأوطان وثقافتها هو الاستلاب والاستعمار اللغوي والثقافي؛ عبر حملات تشويه العربية وهو فعل يعود بالسلب على الهوية وهو هدف المحتل الذي يعمل على طمس الهوية الثقافية و اللغوية. إنّ هذه الوضعية التي آل إليها العربي يطغو عليها طابع الاستلاب اللغوي و الاغتراب الثقافي أي وضعية اللاّ–قيمة و الفراغ الهووي و القيمي إذ " تلحق اللغة باغتراب الهوية و تساعد في اغتراب الفكر بعد اغتراب الوجود و يصبح الاغتراب هو النسيج الفعلي للوجود العربي هوية و لغة و ثقافة فيغترب العربي في التاريخ و يخرج عن مساره "[6] .

ممارسة اللغة العربية في المناهج التعليمية و التواصلية تعزيز للهوية و تكريس للمواطنة والوطنية في اللغة

اللّغة هبة الله التي ميز بها البشر ببقية المخلوقات تكتسب وتنمو تدريجيا من حليب الأم وصوتها، ومن هنا جاء مصطلح "لغة الأم" وهي التي تلقاها الإنسان بفطرته وغريزته، وتعلمها وأصبحت مكتسبة لديه. ولعلّ إنّ أوّل خطوة يجب القيام بها من أجل اللغة العربية و ازدهارها و شموخها في نظر أنفسنا و في نظر الآخر هي تطوّع العربية في اللسان و النطق.

فاللّغة، وهي وعاء الفكر، يكتسبها الإنسان كمقوم و مقياس من مقاييس مبدأ" أنا موجود هنا " أي تجسيد لوضعية الانتماء باعتبار أنّ الاهتمام باللغة الأمّ القومية يظل مؤشرًا من مؤشرات الاهتمام بالهوية وبالقومية ذاتها، حيث تظل اللغة معبرة عن الوعي الجماعي للأمة، مرتبطة–كل الارتباط –بهوية أبنائها، تحقّق وحدة ثقافية و اجتماعية.

[6] حسن حنفي ، اللغة و الهوية في الوطن العربي إشكاليات تاريخية و ثقافية و سياسية، ، المركز العربي لأبحاث و دراسة السياسات ،الطبعة الأولى 2013،بيروت، ،ص199 .

اللغة شرط الهوية

فاللّغة من السمات البارزة للمجتمع الإنساني، هي الوسيط الذي من خلاله يدرك الإنسان عالمه، وهي المقوم الحاسم الذي يشكل هوية هذا الإنسان ذلك أنّ الهوية نتاج الرموز التي يفعلها الإنسان عبر اللغة. وكما يقول الفيلسوف الألماني هايدغر " حيث توجد اللغة يوجد العالم و لما كان التاريخ لا يصير ممكنا إلاّ في العالم اقتضى ذلك كلّه أنّه حيث توجد اللغة يوجد التاريخ ، فاللغة هي التي أوجدت الحضارات إذ إنّ الذي يمنع الحيوانات من أن تكون لها حضارة هو في المحلّ الأول افتقارها إلى اللغة و عدم وجود قدرة كلامية و فكريّة لديها تساعدها على مواصلة تجاربها و خبراتها " 7.

يقول الشاعر :

لغتي عليا اللّغاتِ

قد سمتْ كالكوكبِ جرسها بين اللُّغات

كرنين الذَهبِ قد غدت أختَ الخلودِ

عبد المعطي الدالاتي

يبدو أنّه من الطبيعي أن ينطلق الاهتمام باللغة من واقع جهود أهلها الناطقين بها، فهي أثمن الممتلكات، فيتوجب عليهم إذن ضمان بقائها في ضل هيمنة العولمة لتظل قوية صُلبة معبرة عن الثقافة و الحضارة بشكل أعمّ و لعلّ التطوّع اللغوي و تطوّع العربية هو المهمة عينها . فخدمة اللغة بالمجان تحررها من التهميش و الاحتقار في نظر الناطقين بها و غير الناطقين بها . إذ " يعدّ التطوّع اللغوي أحد أهمّ أشكال الأعمال التطوّعية وتنبع ضرورته من أهمية اللغة نفسها للفرد و المجتمع ، فلغة الفرد هويته والهوية مطلب فردي يتمحور حول إثبات ذات الفرد في هويّة قوميته وتمييزها ضمن هويات مختلفة وذلك لا يتم إلا من خلال اللغة"8.

يقول أحمد شوقي في إحدى قصائده مادحا جمال العربية:

إن الذي ملأ اللغات محاسنا جعل الجمال وسره في الضاد9

[7] محمود أحمد السيّد ،اللغة العربية و تحديات العصر ،الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق سوريا ،2008، ص13 .

[8] عيسى عودة برهومة،التطوع اللغوي نماذج عربية ودولية ،مجلة اللغة العربية ، العدد 35 ، ص 52 .

[9] الشاعر أحمد شوقي .

تحتل العربية مكانة فريدة في المناهج التعليمية و السياسات التربوية في الأوطان العربية بإعتبار لها بأولوية مطلقة في عمليات التدريس لمستويات الأساسي و الثانوي و حتى الجامعي و بما هي مادة مفضلة ومبجلة على غرار بقية اللغات و هذا يعبر عن واقع محمود يطبع مدى ممارسة العربية في جميع المسارات التربوية فالطفل أول ما يتعرف عليه في ثقافته و كينونته أو هويته الحضارية هو اللغة و تبقى اللغة الأم هي أول لغة ينطق بها إلى أن يبدأ في تعلم لغات أخرى إلا أن تمكنه و تطبيقه لنواميس و قواعد لغته هي التي تبقى ثابتة في ذاكرته و إدراكه .لذلك يجب أن تكون المسؤولية مشتركة قائمة على تعاون البيتِ مع المدرسةِ والجامعة لنحصد لغة قومية و وأشخاصا يعتزونً بهويتهم العربية 10. فما يجب أن يتعلمه الناشئة من ممارسة العربية هو ما يمكن التعويل عليه من مقومات القومية و الوطنية و المواطنة وقيم التشارك و الإتحاد بالنظر إلى وحدة التاريخ و العرق و من ثمّ وحدة اللغة ووفق عبارة ابن المقفع : "***اللغة العربية*** ليست لغة فحسب، بل هي وطن".هي الوطن الذي نلجأ إليه عندها نضيع هويتنا و أصالتنا .

بما أنّ الإنسان كائن اجتماعي بطبعه كما ورد لدى ابن خلدون،فهو لا يقدر أن يبدع لغة تخصه تعزله عن بني جنسه، الذين يشاركهم في وجودهم الاجتماعي .وهذا الوجود المشترك يقتضي هوية واحدة و بالتالي فهو وجود يقتضي الانتماء إلى هذه الهوية اجتماعية، دينية لغوية، أو وطنية. وكل تصدع في هذا الانتماء هو تصدع في الهوية واللغة من هذا القبيل فالمهمة الراهنة يجب أن تكون حماية اللغة العربية من كل تصدّع وطمس أو عنف قد يسلط عليها.

والعربية الفصحى هي التي توحد الشعوب العربية وهو ضرب من الوحدة اللغوية تيسر الفهم التفاهم بين متحدثيها فالتوحيد اللغوي، أساس الانتماء إلى الأمة العربية ويتطلب الأمر الافتخار بهذا الانتماء والاعتزاز به . إن اللغة كتعبير عن ثقافة مجتمع ما فهي التي تنظم تجربة هذا المجتمع، وتشكل عالمه وواقعه الحقيقي و لغة العرب تعبر عن تصور العرب لذاتهم وهويتهم فهي وعاء الجماعة الذي يكون الأمة . لأنّ اللغة خير سبيل للافتخار بالأمة، فتميز ألفاظها يحدثنا عن مدى عمق الإحساس بالمواطنة والشعور بالانتماء و الأصل و المفصل. فلا سبيل للحديث عن أمة أو جماعة هووية لا تملك لغة. و بهذا المعنى فاللسان

[10] د. جودي فارس البطاينة/ د. عمران أحمد عبد الكريم الطويل، اللغة العربية والهوية، ديسمبر2015، مجلة إشكالات في اللغة و الأدب، العدد 8، الجزائر، ، ص73 .

العربي يمثل بشدة مقولة المجتمع القومي والهوية الوطنية. فالعربية هي التي توحد بين العرب يقول الشاعر أحمد شوقي في هذا السياق :

ويجمعنا إذا اختلفت بلاد بيان غير مختلف ونطق[11]

وتبعا لذلك يكون الرابط وثيق بين الأمة واللغة حتى أن الأمة ترتبط باسم اللغة "الأمّة العربية" . " ويجب منح اللغة العربية التي ترتبط بتاريخنا و ثقافتنا رعاية مخصوصة كي تعيش معنا في مناهجنا و إعلامنا و تعليمنا. كائنا حيا ينمو و يتطوّر و يزدهر ويكون في المكانة التي يستحقها جوهرا لإنتمائنا القومي ولكي تكون قادرة على الاندماج في سياق التطوّر العلمي و المعرفي في عصر العولمة و المعلومات و لتصبح أداة من أدوات التحديث ودرعا متينا في مواجهة محاولات التغريب والتشويش التي تتعرّض لها ثقافتنا"[12] .

إنّ المحافظة على اللغة الأم من التلاشي و الاضمحلال هو العمل التطوعي الحق و قد كتب صاحب الكتاب المشهور "صدام الحضارات"، صمويل هنتنجتون بأنَّ اللُّغة والدين هما العنصران المركزيان لأيّ ثقافة أو حضارة و أنّ الناس يعرفون أنفسهم باللغة و الدين والتاريخ والقيم و العادات و التقاليد.[13]

وقد أورد بعض العلماء الأجانب أقوالاً عن أهمية اللغة العربية ومكانتها في المجتمعات، حيث قال الفرنسي إرنست رينان: "اللغة العربية بدأت فجأة على غاية من الكمال، وهذا أغرب ما وقع في تاريخ البشر، فليس لها طفولة ولا شيخوخة"، أما الألماني فريتاغ فقال فيها: "اللغة العربية أغنى لغات العالم" .

يقول المفكر العربي الباحث في فنون اللغة العربية محمود تيمور: "فإذا كانت الإمبراطورية العربية قد أسدل ستارها على مسرح السياسة فهي قائمة في مظهر لغوي يربط بين من ضمت من الشعوب، ونحن نعمل بواعيتنا الظاهرة والخافية على استبقاء رباطنا الإمبراطوري في صورة اللغة العربية، كأننا بهذا الرباط نعمل على أحياء إمبراطوريتنا الزائلة، على نحو يلائم ملابساتنا الحضرة، فإيماننا بالفصحى مستمد من إيماننا بتلك الإمبراطورية التي تتجمع فيها أمجادنا التليدة، وإننا بذلك الإيمان نستمسك بمقومات شخصيتنا العزيزة علينا وعلى تاريخ الإنسانية جميعا، وفي هذا الاستمساك تلتق مشاعرنا الطبيعية، لحماية أنفسنا في معترك

[11] الشاعر أحمد شوقي .

[12] محمود أحمد السيد ،اللغة العربية و تحديات العصر ،الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق سوريا ،2008 ،ص 198 .

[13] صمويل هنتنغتون: صدام الحضارات ، ترجمة طلعت الشايب ، سطور ،الطبعة الثانية 1999 ص39.

تنازع البقاء"14. ومن هنا كان يطلق على الحضارة العربية الإسلامية بحضارة الكلمة ذلك أنّ للغة دورا بارزا في تكريس قيمة المواطنة، وتعزيز روح الانتماء إلى الوطن فالوفاء و الولاء للوطن هو أساس الوطنية فالوفاء للوطن هو وفاء للهوية وبالتالي للغة ولاء يدفع المواطن إلى القيام بواجباته في إطار الالتزام بقيم المواطنة و بفعل التطوع اللغوي يجعل الفرد في الأوطان العربية وفيا للغة العربية ذلك أن الاعتزاز بها هو اعتزاز بالوطن، لأنّها مقوم من مقوماتِ الانتماء إلى الوطن .

فالتشريعات الدستورية كأسمى تعبير قانوني عن إرادة الأمة اقرّ رسمية اللغة العربية في مختلف ربوع الوطن العربي ومن هنا تتجلى قيمة القاعدة الدستورية و الإحساس بالوطنية والهوية الأصيلة.

بالتطوع اللغوي من طرف أبنائها قد تتمكن الأمة العربية من الإنعتاق من التبعية اللغوية. وممارسة العربية في منازلنا و في الأوساط الاجتماعية ، وتمكين الفصحى في المدارس و في المؤسسات العلمية والفكرية يلغي الحاجة للإنجليزية بأن تصير لغة العمل و البيت فسبل النهضة بلغتنا هنا تقتضي معرفتنا بلغتنا معرفة واعتراف شامل من اجل تكوين وعي وثقافة لغوية تساير وعينا الحضاري الوطني والسياسي والفكري، من أجل التحرر اللغوي من الاستعمار و النفوذ الغربي في مجال الثقافة و اللغة والفكر.

حين تكون العربية و العربية الفصحى هي أسلوب النطق المستعمل في الخطابات الرسمية السياسية و الاجتماعية و التقارير الصحافية و الرسائل الإعلامية السمعية البصرية هذا الفعل التطوعي المجاني فيه وعي و إرادة سياسية تؤمن بالوطن و المواطنة و بالتالي تكريس لقيم الانتماء و الاعتزاز بالوطن فالرسالة السياسية تؤمن بالرسالة الحضارية للغة العربية وتدعمها بحمايتها للهوية الثقافية للأمة و المحافظة على لغتها و لسانها، وهذا الفعل ليس سوى ترسيخٌ للوجود اللغوي العربي وإرساء دعائمه و التعريف بهويته في العالم .وهنا يظهر القائد كقدوة من أجل خدمة اللغة وتطوع العربية . فالتطوّع اللغوي سمة من سمات الوعي الوطني فيه ينزع السياسي لتكريس الرأس مال الثقافي من أجل تعزيز المواطنة و الحس الوطني " وقد أثبتت

[14] الشريف كرمة ، اللغة العربية وعلاقتها بالهوية ،مجلة حوليات التراث ، عدد 6 ، 2006 .

الممارسات العملية في العقود الماضية أنّ التطوع عامل مهم لتوثيق التماسك الاجتماعي و الانتماء و تعزيز الوعي و ترسيخ المواطنة."[15]

فلغة الضاد برونقها الذي يشهد كليه الشرق و الغرب على سبيل إعتراف من المستشرقة الألمانية زيفر هونكه:" كيف يستطيع الإنسان أن يُقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم، وسحرها الفريد؟! فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صَرْعَى سحر تلك اللغة[16] ."هذه هي نعمة الانتماء و الاعتزاز بالعربية هو شرط التواجد كمواطنين و رمز الولاء للوطن الوطن. للعربية موقع متميز بين لغات العالم نظرا لثرائها و ما تحمله من فصاحة و وبلاغة وإتقان.ولعلّ اعتزاز العربي بلغته جعله يمارسها و يستحضرها كرافد ثقافي هووي يكرس قيم الانتماء و المواطنة .

قيمة اللغة العربية في الدين الإسلامي

: "تعلَّموا العربيةَ، فإنها من دينِكم، وتعلَّموا الفرائضَ، فإنها من دينكم" هذه وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه للعرب. وهذا يعكس قيمة اللسان العربي بما هي قيمة تاريخية وحضارية فاللغة الخاصة أو المحلية لأي أمة من الأمم هي عماد موقعها الهووي و انتمائها القومي و الديني .

إن اللغة العربية أغزر اللغات و تمتاز العربية بفصاحتها لتكون لغة أعظم الكتب السماوية المقدسة ، لغة القرآن الكريم، ومن هنا كانت العربية أم اللغات وهذا هو المعنى الحقيقي للتطوع اللغوي حين نمجد لغتنا و نعتز بها و نمارسها في كل مجالات حياتنا و بالتالي فان قداسة العربية و خدمتها هي عمل تطوعي ليس وراءه أي غاية سوى تكريس لقيم المواطنة و الهوية .

وقد أولى الإسلام عناية فائقة بالغة العربية وشدد على أهميتها من خلال الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية و في مختلف الخطابات الموجهة إلى المسلمين ومنها هذه الآيات الكريمة:

[15] عبد الله البريدي (مجموعة من المؤلفين)، التطوع اللغوي إطار نظري و تطبيقي للتطوع في مجال خدمة اللغة العربية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الطبعة الأولى، 2015، السعودية الرياض، ص 19.

[16] زيفر هونكه مستشرقة ألمانية أشتهرت بمؤلفاتها في إختصاص الدراسات الدينية، عرفت في آخر حياتها ب نظرتها المعتدلة للإسلام من خلال كتاباتها الشهيرة في العالم العربي مثل كتاب " شمس العرب تسطع على الغرب" وكتاب " الله ليس كمثله شيء " .

بسم الله الرحمان الرحيم "كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ17

: " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " 18(سورة يوسف الآية رقم 2)

وكتب على بن ابي طالب إلى أبي موسى الأشعري – رضي الله عنهما –: "أمَّا بعد، فتفقهوا في السنةِ، وتفقهوا في العربية، وأَعْرِبُوا القرآنَ فإنه عربي19"

وعن شيخ الإسلام ابن تيمية القول التالي : "فإنَّ نفسَ اللغة العربية من الدِّين، ومعرفتها فرضٌ واجب؛ فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهمِ اللغة العربية، وما لا يتمُّ الواجب إلا به فهو واجب، ثم منها ما هو واجبٌ على الأعيان، ومنها ما هو واجبٌ على الكفاية"20

وهي شهادات دينية تصعد بالعربية إلى منزلة عليا ، فلا يمكن أن يغيب عن ذاكرتنا ما للغة العربية من مكانة مثلى في الإسلام فهي لغة القرآن الكريم والسنة وهي جزء لا يتجزأ من ديننا الحنيف، لأنها الغة التي بها الإسلام يتحدث ويمنع و ينبه ويحلل ويحرم ويعلّم، ولا يقرأ المسلم القرآنَ إلا باللسان العربي.وبما أن العربية لغة الإسلام و النصّ المقدّس والعبادة، فقد انتشرت مع انتشار الإسلام وإرتباطها بالمعتقد الإسلامي يعزز روح الانتماء إلى الهوية العربية الإسلامية مثلما جاء على لسان المؤرخ والمحدث الشهير ابن عساكر :" ليست العربية من أحدكم بأبيه ولا بأمه، وإنما العربية لسان، فمن تكلم العربية فهو عربي" . ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مؤلفه اقتضاء الصراط المستقيم "فإنّ اللسان العربي شعار الإسلام وأهله ، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميّزون " .**21**

[17] القران الكريم (سورة فصلت، الآية 3).

[18] القرآن الكريم، (سورة يوسف الآية رقم 2) .

[19] https://mufahras.com/

[20] https://myarabic.wordpress.coفضل اللغة العربية/

[21] أهمية اللغة العربية عند شيخ الإسلام ابن تيمية ،منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، 2015 ، السعودية .

للعربية شأن و قدر كبير في العصور و الأمم المختلفة و رفعت راية الدولة العربية الإسلامية وقد إنتشرت مع المد الإسلامي من شبه الجزيرة العربية، فأثرت في الفكر الإنساني في مختلف المجالات و العلوم.فاللغة العربية من الدين والدين من اللغة العربية . وهذا هو الإنتماء الحقيقي .

اللغة العربية نحو مستقبل الكونية : نعمة الانتماء و شرط المواطنة

من الواضح أن المكانة التي بلغتها اللغة العربية في السياسات و المناهج التعليمية في الأوطان العربية قد جعلت منها كممارسة لتجسيد مقومات الهوية و قيم المواطنة ويكون ذلك من خلال مبدأ التطوع و بالتالي فإنّ " الفعل التطوّعي باب عريض يلج منه المجتمع الحيّ لخدمة لغته وضمان حضورها في الوجدان الشعبي و الذاكرة الجمعيّة و المخيّلة الذهنية إيمانا منّا بأنّ " اللغة هويّة ناطقة " لا مجرّد وسيلة تواصل ، ومن المسلّم به أنّ العربيّة اليوم تحتاج إلى جهود المجتمع بكافة مؤسساته و فعالياته الرسمية والشعبيّة " 22.فلغة الأمة هي تراثها، هويتها وتاريخها، وكينونة الأمة وبقائها مرتبط شديد الإرتباط بكينونة لغتها، فالأمم التي فقدت لغاتها انعدمت و لم تكن في الوجود، ولا بقاء لأمة يتخلى منتسبيها عن لسانهم. ولقد أثبتت العربية أنها قادرة على استيعاب كل ثقافات العالم وعرفت في القرن 12 بلغة العلم والحضارة وكان علماء الغرب يقبلون على تعلمها وترجمتها وهو ما يسمى بعصر الاستعراب الأوروبي .وعليه تمكن اللسان العربي من استيعاب تراث و حضارات الأمم القديمة من فرس وإغريق وسريان كما راهنت أيضا على قدرتها على استيعاب ثقافات متعددة و مختلفة و بالتالي فكلّما فرضت الأمة مكانتها كانت لغتها أشدّ قوة. بدليل آلية الترجمة فقد ترجمت العلوم و الفلسفات من العربية إلى عدة ألسن أخرى خاصة من طرف المفكرين و العلماء الغربيين خاصة تلك التي ظهرت في العصور الوسطى كالغزالي الفارابي ابن سينا ،ابن رشد ..... و غيرهم من الفلاسفة العرب و هو ما يعرف بالاستعراب الأوروبي.

و حديثا بأحرف عربية كتب كانط الفيلسوف الألماني عبارة البسملة على رسالته في الدكتوراه وهي أحرف تعبر عن العظمة و المنزلة الرفيعة للعربية . وهي شهادة من شهادات غير العرب في العربية وبهذا تكون

[22] عبد الله البريدي (مجموعة من المؤلفين)، التطوع اللغوي إطار نظري و تطبيقي للتطوع في مجال خدمة اللغة العربية ، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية ، الطبعة الأولى، 2015 ،السعودية الرياض ، ص18 .

قيمةَ لغتنا تزيدنا اعتزازاً لعلنا بذلك نعي تمام الوعي بان واقع الأمة العربية المريض، انعكس على واقع اللغة بتهميشها وإهمالها من قبل أبنائها.

وقد قال الفيلسوف الألماني هايدغر: "إن لغتي هي مسكني، هي موطني ومستقري، هي حدود عالمي الحميم ومعالمه وتضاريسه، ومن نوافذها ومن خلال عيونها أنظر إلى بقية أرجاء الكون الواسع"[23]. ومنه فإنّ لغتنا العربية هي موطننا و عالمنا الذي نعتز به بين الحضارات.

إذا كانت اللُّغة هي الهُويَّة، فإنَّ العربية هوية العرب و العربي و يجب أن يمارس هؤلاء المنتمين إلى هذه الهويّة فعل التطوع اللغوي من أجل خدمة اللغة الأم لتظهر أنّها مقدسة في نظر أبنائها و أنّهم جديرين بانتمائهم و يفتخرون بألفاظها و عباراتها و حروفها و هو أمر يستوجب تحرر ووعي لغويين و أكثر منه وعي ثقافي هووي .

رغم التجارب المزعجة التي مرت بها العربية في القرن الماضي كالانحناء أمام العاميات تارة وأمام اللغات الأجنبية طورا، إلا أنها صمدت أمام هذه التحديات سواء داخليا أم خارجيا صمدت وبقيت حية، فاللغة لا تموت إلا بموت أصوات أهلها لأنها صوت كل قوم

وحسب مؤلف كتاب "الإمبرياليّة اللغوية" روبرت فيلبسون فإنّ مُنظمة اليونسكو تسعى جاهدة لتقديم وتطوير "إعلان عالميّ لحقوق الإنسان اللغوية" بهدف حماية حقوق اعتناق اللغة الأم في الشوارع و في المناسبات الرسمية و الثقافية و بالتالي و توفير الأمن اللغوي و الحفاظ على بعض اللغات التي في طريقها إلى الفناء.

الخاتمة

صفوة القول إن اللغة وعاء الثقافة الشعبية، ومستودع الذاكرة العلمية، و الأساس الثقافي للأجيال عبر العصور و الأزمان. وإنّ العبث بها هو عبث بالأنا الثقافية للإنسان.لان الألسن حينما تغتال فإنها تذهب بإرث ثقافي ضخم ، لأن اللغة مرآة الهوية و عينها التي تعكس روح الانتماء و الموقع و المنزلة الهووية التي تحتلها الذات في الوجود . لقد تأسست الهوية العربية من استخدام العربية لغة، ومن الاعتزاز بالإسلام دينا ومن المحال أن نتصور شعبا بدون هوية. ذلك أنه لا يمكن للشعوب أن تتنازل عن هويتها، فاغتراب

[23]ياسين عبد الله جمول ، صرخة في سبيل العربية والهوية ،مجلة العربي الجديد عدد جانفي 2021 .

الشعوب هو في اغترابها عن هويتها ولغتها و العربية هنا لغة العرب و المسلمين ، فهي لغة القران الدين الإسلامي،يقول تعالى:" وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ "24 ، "كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ25 " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ "26 والرسول –صلى الله عليه وسلمَ– خاطب قومه العرب بلسانهم.

المصادر و المراجع

القران الكريم سورة إبراهيم الآية 4.

القران الكريم سورة فصلت، الآية 3.

القران الكريم سورة يوسف ، الآية 2 .

ابن خلدون ،المقدمة، الدار التونسية للنشر ، تونس ،1984 .

محمود أحمد السيّد ،اللغة العربية و تحديات العصر ،الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق سوريا ،2008.

د. جودي فارس البطاينة/ د. عمران أحمد عبد الكريم الطويل، اللغة العربية والهوية، ديسمبر 2015، مجلة إشكالات في اللغة و الأدب، العدد 8، الجزائر، ص73.

عبد الله البريدي (مجموعة من المؤلفين)، التطوع اللغوي إطار نظري و تطبيقي للتطوع في مجال خدمة اللغة العربية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الطبعة الأولى، 2015، السعودية الرياض.

حسن حنفي، اللغة و الهوية في الوطن العربي إشكاليات تاريخية و ثقافية و سياسية، المركز العربي لأبحاث و دراسة السياسات، الطبعة الأولى، بيروت2013.

1 عيسى عودة برهومة،التطوع اللغوي نماذج عربية ودولية ،مجلة اللغة العربية ، العدد 35.

صمويل هنتنغتون: صدام الحضارات ، ترجمة طلعت الشايب ، سطور ،الطبعة الثانية 1999.

الشريف كرمة ، اللغة العربية وعلاقتها بالهوية ،مجلة حوليات التراث ، عدد 6 ، 2006 .

[24] القران الكريم سورة إبراهيم الآية 4.

[25] القران الكريم سورة فصلت، الآية 3.

[26] القران الكريم سورة يوسف ، الآية 2 .

أهمية اللغة العربية عند شيخ الإسلام ابن تيمية ،منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، 2015 ، السعودية .

ياسين عبد الله جمول ، صرخة في سبيل العربية والهوية ،مجلة العربي الجديد عدد جانفي 2021 .